جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية التربية
قسم التاريخ / الدراسات الاولية

المعارضة السياسية في الدولة العربية الاسلامية
خلال المدة من ٤١هـ - ١٣٢هـ من خلال كتاب تاريخ الخلفاء

بحث مقدم الى مجلس قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة القادسية
وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في التاريخ

مقدم من الطالب
محمد عبد الهادي جبار

اشراف:
الدكتور سعد الجنابي

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

الفصل الثالث

حركات المعارضة

أكد حجر انه لم ينقض بيعة معاوية، ولم يعمل للاطاحة بالحكم الاموي، تدل على ذلك تصريحاته هو وجماعته، وتصريحات المستنكرين على معاوية، وانما حاول حجر وجماعته القيام بمهمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتراض على سب الامام(عليه السلام)على المنابر فحسب. وقد مرت نماذج من هذه التصريحات(١).

ومن المؤكد ان حجراً لم يكن مؤمنا بخلافة معاوية اسلاميا، وانما رأى الظروف تسوّغ له البيعة، كما دفعت غيره من المؤمنين لبيعة معاوية. ولكن هذه البيعة لا تفرض على المؤمن السكوت عن الانحرافات والمنكرات، فكان حجر وجماعته وغيرهم من المؤمنين ينبهون الامة او النظام الحاكم على انحرافاته وانحرافات عماله وانصاره. ولكن معاوية وزمرته انما استولوا على الحكم، طمعاً بالمطامع الدنيوية، ولاجل ارتكاب تلك المنكرات، وقد استخدموا مختلف الاساليب والممارسات في تطبيع الامة على حياة ملائمة لاطماعهم، ومن هنا كان يرى في وجود حجر وامثاله خطراً يتهدد وجوده واحلامه، وكان يخشى ان يثير حجر واصحابه الامة ضد ممارساته ومخططاته، وبذلك تذهب جهوده ادراج الرياح، فكان يخشى انتشار هذه الاراء الرافضة بين الجماهير، وبذلك يعسر القضاء على هذا الوعي والغضب الجماهيري. فقد روى ابن كثير في تاريخه ان عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية(٢): «اقتلت حجر بن الادبر؟ فقال معاوية: قتله احب الي من ان اقتل معه مئة الف، وقال معاوية: اني رأيت في قتلهم صلاحاً للامة،

---

(١) الشيخ المفيد ، الارشاد ، النجف، المطبعة الحيدرية ١٩٦٢م - ١٣٨٢هـ ، ص٢١.

(٢)السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ص٨٤.

وفي مقامهم فساداً للامة، وقال: اني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خيراً من استحيائه في فسادهم»، ونظر ذلك ما اجاب به معاوية على استنكار عائشةولم يقصد معاوية من صلاح الامة، إلا تمرير الحكم الفاسد، وتطبيع الامة على قبول ممارساته ومنكراته، ولم يقصد من فسادهم الا انتشار الوعي الثوري الاسلامي، وانكشاف منكرات النظام ومساوئه، وبذلك يتزعزع العرش الاموي.وكان المغيرة بن شعبة، عامل معاوية على الكوفة، وهو من عملاء معاوية، ومن دهاة العرب، يعلم جيداً بان معاوية يستهدف من خلال القضاء على الاصوات الواعية والرافضة التي تمثل الاسلام الحقيقي والرفض للاعمال المنحرفة التي يمارسها النظام الحاكم يستهدف دعم سلطانه وتثبيته(١)، ولو على حساب تشويه سمعة المغيرة وسحقه، فانه لما اشير على المغيرة التنكيل بحجر واصحابه اجاب: (لا احب ان ابتدئ اهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك واشقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة)(٢).اجل، اراد معاوية ان يخنق كل اصوات الرفض والهداية في الامة، وان يزيل كل العقبات امام نزواته، واستخدم في سبيل ذلك شتى الاساليب والممارسات، حتى يستمر في سلطانه، ويوطد لبني امية الحكم من بعده.ولكنه لدهائه، لم يواجه تلك العقبات بصورة سافرة، وانما كان يخطط للقضاء عليها، وكانت له حاشية من الدهاة المتزلفين، ترسم له الخطط الدقيقة، لمواجهة شتى التحديات، لذلك رأيناه، حينما واجه استنكار الامة لقتله حجراً، يلقي اللوم على الشهود، ويتضح من ذلك ان الشهادة كانت مخططا مدروساً، للتغطية على اهدافها، حيث كان يستهدف من خلالها امتصاص الغضب الجماهيري الناجم من

---

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٩٤٥، بن الأثير ، أسد الغابة، بيروت، ط١، دار إحياء التراث العربي، ص١٢٣

(٢) ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، بيروت دار احياء التراث العربي، اوفست عن الطبعة الاولى ١٣٢٨هـ، ص١٢.

قتل حجر واصحابه، لذلك قال معاولة: «لست انا قتلتهم، وانما قتلهم من شهدوا عليهم».وقد ذكرنا ظروف الشهادة، وصفات الشهود، مما يدل على ان الشهادة كانت مخططا يستهدف من خلاله القضاء على حجر وجماعته، بصورة لا تثير غضبا على السلطة الحاكمة، وتعطي للشهادة صيغة مشروعة من حيث متنها، وظروفها، وشهودها.بل انه من خلال القضاء على هذه الجماعة، بالرغم من انها كانت معروفة بين المسلمين، ارادوا خنق سائر الاصوات الواعية، وارهابها واسكات استنكارها لسياسة معاوية، وبث الذعر في النفوس.(١)ولكن الحقيقة لم تخف على الواعين، وان سكتوا طمعاً او خوفاً من معاوية، وكذلك انكشفت الحقيقة للتاريخ والاجيال اللاحقة، حيث ان الفرق واضح بين الجانبين، جانب حجر وجماعته، وجانب معاوية وزمرته وجلاوزته.لقد كان حجر وجماعته يمثلون الالتزام الاسلامي الشديد، بينما يمثل الجانب الاخر الانحراف والتزلف والجاهلية، وحب الدنيا، وقد شهد لهذا الفرق رجالات العصر في استنكارهم لهذه المجزرة، حتى المغيرة عامل معاوية، بل حتى معاوية كان يشعر بقصوره عنهم، بعد اظهار ندمه رياءً على ما ارتكبه(٢).

---

(١) الطوسي، أعلام الورى، النجف، المطبعة الحيدرية ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠، ص٢٩.

(٢ السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ص٦٧..

أن تولى يزيد بن معاوية الخلافة ، عقب وفاة والده ، حتى أظهر أنصار العلويين عدم إقرارهم بخلافته ، وأخذ زعماؤهم وعلى رأسهم سليمان بن صُرَد الخزاعي يكتبون إلى الحسين في مكة يدعونه للقدوم عليهم في الكوفة وأنهم قد حبسوا أنفسهم على بيعته ومستعدون للموت دونه. فأرسل الحسين مسلم ابن عقيل (ابن عمه) يستطلع خبر أهل الكوفة ويعلمه بحال هذه الجماعة. ووصل مسلم الكوفة (شوال ٦٠هـ/٦٨٠م) وبايعه آلاف من أهلها على النصرة والدعم لآل البيت مما جعله يطمئن إليهم فكتب يستقدم الحسين من مكة.

وفي هذه الأثناء ، عزل يزيد النعمان بن بشير الأنصاري ، بطلب من أهل الكوفة ، وعيَّن عليها عبيد الله بن زياد ، ذلك الوالي المتشدد في طلب الجماعة المناوئة . فطلب مسلم بن عقيل حتى اهتدى إليه فقتله " فكان أول قتيل من بني هاشم في عهد بني أمية " .(١)

حدث هذا في الوقت الذي كان الحسين قد خرج من مكة غير آخذ بالنصائح التي وجِّهت إليه ألاَّ يتسرع في الذهاب إلى الكوفة . ولكن ما أن وصل إلى القادسية حتى عرف بمقتل مسلم بن عقيل دون أن يتمكن أعوانه من مساندته ، فتوجه إلى كربلاء ، وتقابل مع قوات عبيد الله بن زياد وعليها عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري في الثاني من المحرم لسنة ٦١هـ/ (٢ تشرين الأول / أكتوبر ٦٨٠م) وجرت مناقشات بين الطرفين لكنها لم تسفر عن شيء وذلك لموقف ابن زياد القاضي بأن يقدم الحسين عليه بالكوفة ومقابلة هذا الطلب بالرفض القاطع من الحسين . وأخيراً تقدم الحسين بمن معه من أعوانه وأهل بيته فقاتل حتى قتل يرحمه الله في يوم الأربعاء ١٠ محرم ٦١هـ/ ١٠ تشرين الأول/ أكتوبر ٦٨٠م) وقتل معه العديد من أهل بيته وأعوانه ، وأعيد من نجا منهم إلى المدينة .(٢)

---

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ص٢٤٢.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء ،ص١١٥..

وهكذا ، فإن رغبة الحسين في الوصول إلى الكوفة لم تتحقق وذلك لوقوف قوات عبيد الله بن زياد في طريقه ، وتشددها معه بناءً على أوامره ، ولعدم تمكن الذين كاتبوه من نصرته ساعة الشدّة .(١)

وسرعان ما ندم سليمان بن صُرَد الخزاعي ، وجميع من لم يستطع نصرة الحسين ، وقالوا:"ما لنا توبة إلا أن نطلب بدمه" ، فعرفوا لأجْل ذلك بالتَّوَّابين . ومع أنهم قد بدأوا في تنظيم صفوفهم عقب مقتل الحسين مباشرة إلا أنهم لم يستطيعوا إظهار حركتهم إلاّ بعد أن توفي يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، وحدثت أزمة للأسرة الأموية عقب تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة دون تعيينه لمن يخلفه فبايعت الأقاليم لابن الزبير ، وطرد أهل الكوفة عبيد الله بن زياد فتوجه إلى الشام . ولذلك تواعد التوابون على أن يخرجوا إلى الشام فيقتلوا قتلته . وسهّل لهم والي ابن الزبير على الكوفة خروجهم . فما أن وصلوا إلى عين الوردة حتى واجهتهم قوات عبيد الله بن زياد ، الذي كان متوجهاً إلى إقليم العراق لاستعادته من ابن الزبير للسيادة الأموية ثانية، ولكن هذه المرَّة تحت الفرع المرواني ، وجرت بين الطرفين في عين الوردة معركة غير متكافئة العدد أو العدّة أسفرت عن مقتل زعماء التوابين وكثيرين من أتباعهم ورجعت فلول الناجين منهم إلى الكوفة . وكان ذلك في سنة ٦٥هـ/٦٨٤م .

وهكذا كان لعدم خروج التوابين في الكوفة (مدينتهم وقاعدتهم) ولضعفهم من الناحية العسكرية ، ورفضهم لأية مساعدات من أي طرف رغم عدم وجود الأموال الكافية بين أيديهم ، أثر كبير في النهاية السريعة لحركتهم. (٢)

---

(١) سبط الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قيزوغلو(ت٦٥٤هـ - ١٢٥٦م) ، تذكرة الخواص ، د.ط ، مط: أمير ، قم ، ١٤١٨هـ ، ص٣٧٨

(٢) الشيخ المفيد ، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشيع،تح:مهدي نجف ، ط٢، مط: دار المفيد، بيروت ، ١٤١٤هـ ، ص٧٠.

قدم زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الكوفة في مهمة أشبه ما تكون رسمية بتوصية من الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان وذلك في سنة ١٢١هـ/٧٣٨م (١). وتتلخص قصته في أن خالد بن عبد الله القَسْري البَجَلي ، والي العراق لهشام بن عبد الملك (من سنة ١٠٥ - ١٢٠هـ/٧٢٣ - ٧٣٧م) قد عزل عن منصبه وتعين يوسف ابن عمر الثقفي بدلاً عنه . فاتهم يوسف خالداً في أموال وأنه وضعها عند زيد بن علي . فذهب زيد إلى الخليفة هشام وأنكر معرفته بأي شيء عن خالد . إلا أن الخليفة أصر عليه أن يذهب إلى الكوفة حيث القضية(٢).

وصل زيد الكوفة ، وأعلن في المسجد عن بطلان الدعوى ، فأطلق يوسف سراح خالد فتوجه إلى الرصافة ثم إلى دمشق . وأما زيد فخرج يريد المدينة ولكن أهل الكوفة لحقوا به واستحثوه على البقاء عندهم . فرجع زيد معهم ولم يأخذ بنصح الناصحين له بألا يفعل ذلك . ولم يمض طويل وقت حتى عرف يوسف بن عمر بأمر زيد والموالين له . وعرف باليوم الموعود لحركتهم (في يوم الأربعاء الأول من صفر لسنة ١٢٢هـ/٦ كانون الثاني / يناير ٧٤٠م) . ولما خرج زيد ، حسب الترتيب المسبق ، لم يجد من جماعته سوى عدد بسيط لا يتجاوز المائتين ، فسأل عن الناس ، قيل له : "أنهم محصورون في المسجد " من قبل الوالي . فقال : " ما هذا بعذر لمن بايعنا " . وبهذا العدد البسيط أسلم زيد نفسه لجند يوسف بن عمر حيث أصابه سهم أحدهم وهو يطارده فقتله ، وتفرق أتباعه ، وفيهم ابنه يحيى.(٣)

---

(١) الاربلي ، ابو الحسن علي بن موسى (ت٦٩٢هـ - ١٢٩٢م) كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ط١، مط: شريعت ، قم ،١٤٢١هـ ، ج٢، ص٦٥٨.

(٢) الكليني ، محمد بن يعقوب الرازي (ت٣٢٩هـ - ٩٤٠م) اصول الكافي ،ط٤، مط: دار الاسوة ، قم ١٤٢٤هـ ، ج١، ٤٦٧.

(٣) المفيد، الارشاد ، ص٢٥٣

كانت حركة ابن الأشعث أهم وأقوى الحركات التي حدثت في العراق في العصر الأموي ، وكانت هذه الحركة من القوة بحيث خشي القائمون على الأمور في العراق من القضاء على الحكم الأموي ، وكانت أهمية هذه الحركة تكمن في أن قائدها ينتمي إلى قبيلة كندة ذات الوجود الكبير في العراق والشام وغيرها . ومن أجل فهم أعمق لهذه الحركة فلا بد من العودة قليلاً إلى الوراء للتعرف على الظروف التي ساهمت في ظهورها .(١)

تشير الروايات التاريخية إلى أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان قد ولى عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي على سجستان وولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي على ثغر خراسان . وكان على الولاة في تلك الأقاليم مسؤولية حفظ الأمن والنظام والإغارة على المناطق المجاورة . فحدث أن غزا ابن أبي بكرة بأهل المِصْرَيْن (الكوفة والبصرة) رتْبيل(Rotbeel) ملك كابل في عام ٧٩هـ/٦٩٨م ، لكن رتْبيل أخذ عليهم الطرق والشعاب وضيّق عليهم المسالك ولم ينج منهم سوى القليل .

غضب الحجاج لهذه النتيجة المحزنة وسارع بالرد ، فأرسل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع قوة من الجند قوامها أربعون ألفاً من كلا المِصْرَين . وأنفق الحجاج على تجهيز هذا الجيش حوالي مليوني درهم سوى أعطيات الجند . ونظراً لكمال التجهيزات وتعدد أنواع أدوات القتال وتشكيلاتها ، وتعدد ألوان الأكسية للجند ودوابهم فقد عرف ذلك الجيش بـ " جيش الطواويس " .(٢)

---

(١) ابن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ - ١٣٠٩م)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، ط١، مط: القاهرة ، ١٩٢٣ ، ج٣، ص٥٦.

(٢) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، ط١، مط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ ،د.ط، مط: دار افاق ، بيروت، د.ت ،ج٧، ص١٦١.

تقدم عبد الرحمن بن الأشعث بجيشه ، وتوغل في أرض رتْبيل (٨٠هـ/٦٩٩م) وكان رتْبيل يعطي الفرصة لابن الأشعث كي يتوغل ظناً منه أنه سيوقع به كما أوقع بمن سبقه . لكن ابن الأشعث كان إذا تقدم من منطقة لأخرى يضع حامية في كل مدينة أو قلعة وينظم البريد فيما بينها ، واستمر في تقدمه حتى وصل مدينتي " بُسْت " (غوست) . والرُّخَّج (في أفغانستان حالياً) وعسكر فيها لبعض الوقت بهدف التعرف على طبيعة الإقليم ومسالكه ، وليتعود الجنود على طبيعة المنطقة الجبلية ذات الثلوج والبرد القارس ثم يسيرون بعد ذلك في بلاد العدو فيفتحونها بلداً بلداً وكذلك ليجبوا خراج المنطقة . وكتبوا بذلك إلى الحجاج ، ولكن الأخير كتب إلى ابن الأشعث يستهجن رأيه في ذلك ، ويستضعف عقله ، ويقرعه بالجبن والنكول عن الحرب والميل إلى الموادعة والهدنة . وكتب إليه أيضاً : "إمض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم ، فإنها داركم حتى يفتحها الله عليكم ؛ وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس " .(١)

لم يقر ابن الأشعث ما كتبه الحجاج إليه . وجمع جنده وخطب فيهم يعرفهم على ما كان من أمر الحجاج ، فقال لهم : " ... وقد كتب إليَّ أميركم الحجاج فجاءني منه كتاب يعجزني ، ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس " .(٢)

وبعد أن شرح لهم ابن الأشعث وجهة نظره في الخطة التي اقترحها لإقامته . وبيَّن لهم أنه إنما يعمل ذلك لأنه مهتم بأمرهم وهو أعرف من الحجاج بطبيعة الظروف التي يواجهونها . وأظهر لهم عدم ارتياحه للأوصاف التي أطلقها عليه الحجاج واستشارهم في أن يواصلوا حسب أوامر الحجاج أو حسب رأيه هو . فقالوا : " أنهم ليسوا بسامعين ولا بمطيعين لأوامر الحجاج". وبايعوه على محاربة الحجاج

---

(١) اليعقوبي ،احمد بن اسحاق بن جعفر (ت٢٩٢هـ - ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي ، د. ط، مط: دار صادر ،بيروت، د.ت ، ج٢، ص١١٤

(٢) المصدر نفسه، ص١١٥

ونفيه من العراق . فاستغل ابن الأشعث هذه النقمة في نفوسهم ، وأعلن وبنفس الجيش الذي أعده الحجاج، تمرده عليه ومن ثم عقد اتفاقية مع رتْبيل تقضي بأن يقوم رتْبيل بإيواء ابن الأشعث فيما لو رجع إليه منهزماً وأما إذا نجح ابن الأشعث فعندها يعفى رتْبيل من دفع أية جزية طيلة سيطرة ابن الأشعث . وإذا ما نظرنا في هذه الاتفاقية لوجدنا أن رتْبيل هو المستفيد الوحيد منها ذلك أنه يضرب عدوّيه بعضهما ببعض وأيهما سينتصر بعد تلك المعارك سيكون ضعيفاً أمامه في النهاية .(١)

ولما وصل ابن الأشعث بقواته إلى فارس ، طلب من المهلب بن أبي صفرة الأزدي أن يشاركه في الخروج على الحجاج ، لكن المهلب رفض ذلك ونصح ابن الأشعث بالعدول عن فكرته لما ستجلب عليه من متاعب . وكتب المهلب إلى الحجاج في أمر ابن الأشعث ناصحاً " أما بعد ، فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من عل وليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شدة في أول مخرجهم ، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهليهم ، ويشموا أولادهم ، ثم واقعهم عندها ، فإن الله ناصرك عليهم ، إن شاء الله " .

ولكن الحجاج لم يأخذ بنصيحة المهلب ، وإنما جهز نفسه وقواته وخرج لملاقاة ابن الأشعث. وكانت أول مواجهة بين الطرفين في " تُسْتَر " (في إقليم خوزستان) . وقد انتصر ابن الأشعث في ذلك اللقاء ، وهرب الحجاج إلى البصرة حيث عسكر خارجها في مكان يعرف بالزاوية ، وعلى إثر تلك الهزيمة ، اعترف الحجاج بصواب رأي المهلب ، فقال : " لله درّ المهلّب ، أي صاحب حرب هو ، قد أشار علينا بالرأي ، ولكننا لم نقبل" .(٢)

وكتب الحجاج إلى الخليفة عبد الملك يطلب منه إمدادات عسكرية من أهل الشام ، فأرسل الخليفة إمدادات بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي ، وتمكن الحجاج من أن يهزم بهم ابن الأشعث في وقعة الزاوية (٨٢هـ//٧٠١م) . فهرب ابن الأشعث إلى

---

(١) الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي بن العماد (١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، د.ط، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٩٨، ج١، ص١٥٣.

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ص٢٤٣.

الكوفة ظناً منه أن أهلها سيساندونه ، لأنه أصلاً منها ، لكن الحجاج طارده وألجأه إلى مكان خارج المدينة يعرف بدير الجَماجم . وظل الطرفان معسكرين في دير الجماجم حوالي مائة وثلاثة أيام ، جرت خلالها مراسلات فيما بين عبد الملك وابن الأشعث كانت نتيجتها إقراراً من عبد الملك بعزل الحجاج من العراق إذا كان ذلك مطلب العراقيين ، وتعيين محمد بن مروان بدلاً عنه ؛ وبزيادة عطاء أهل العراق ومساواته مع عطاء أهل الشام ، وأن ينزل ابن الأشعث أي بلد شاء من بلد العراق ، فإذا نزله كان والياً عليه ما دام حياً، وعبد الملك خليفة . فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عزل الحجاج عنهم وصار محمد بن مروان أمير العراق . وإذا كان غير ذلك فيبقى الحجاج والياً وقائداً .(١)

وعلى الرغم من أن هذه الشروط كانت في معظمها في صالح ابن الأشعث وجماعته إلاّ أن انتصارهم السابق على الحجاج قد دفعهم إلى الاستمرار في التمرد عليه . وعلى إثر ذلك نشب قتال ضار بين الطرفين (جمادى الثاني ٨٢هـ/ تموز (يوليو) ٧٠١م) انتهى بانهزام ابن الأشعث في موقعة دير الجماجم وهربه إلى الكوفة ثم إلى البصرة . لكن الحجاج لحق به وتواجه الطرفان مرة أخرى في موقعة مسكن على نهر دجيل الأهواز المعروف بنهر قارون واستمرت هذه الوقعة حوالي عشرين يوماً ، قتل فيها الكثير من أصحاب ابن الأشعث. أما الفارين منهم فقد عفى الحجاج عنهم وأعطى الأمان لكل من يستسلم منهم ، أو يلحق بجيش قتيبة بن مسلم الباهلي في الرّي ، وقال قوله المشهور : " من لثغورهم إذا هلكوا" .(٢)

وأما عن ابن الأشعث ، والمصير الذي آل إليه . فتختلف الروايات التاريخية في ذلك . فهناك من يرى أن الحجاج قد أغرى رتْبيل بتسليمه ابن الأشعث في مقابل أن يعفى رتْبيل من الجزية لمدة سبع سنوات. وأن رتْبيل وافقه على ذلك وسلّمه إلى

---

(١) الطبري ، مصدر سابق، ص١٥٨.

(٢) اليعقوبي، مصدر سابق، ص١١٧.

عمارة بن تميم اللخمي ، والي سجستان . فسيَّره عمارة إلى الحجاج لكن ابن الأشعث ألقى بنفسه من على سطح قصر الرَّخَّج . فمات (٨٥هـ/٧٠٤م) وهناك من يقول أن ابن الأشعث مات بالسّل .(١)

ومن أبرز النتائج التي أفرزتها حركة ابن الأشعث ، (أ) القضاء على الكثير من المعارضين للسيادة الأموية سواء كان هؤلاء المعارضون أفراداً عاديين أو علماء بارزين (مثل سعيد بن جبير) ؛ (ب) حدوث تجاوزات على ملكيات الأراضي ، بما فيها أرض الصوافي (إذ قام أهل الكوفة بحرق سجلات ديوان الخراج فيها) الأمر الذي نتج عنه البدء بإنشاء سجلات جديدة للأراضي والمالية باللغة العربية بدلاً عن اللغة الفارسية . (جـ) قيام الحجاج ببناء مدينة واسط واتخاذها مقراً لإدارته .

ولا ننسى أن نشير إلى أن انتصار الحجاج في تلك المعركة وقضائه على تلك الحركة قد أعطاه دفعة قوية لتأكيد قدرته وكفاءته الإدارية والسياسية مما جعل الخليفة عبد الملك يوصي ولده الوليد به خيراً . إذ قال له : " انظر الحجاج فاكرمه ، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر ، وهو سيفك يا وليد ، ويدك على من ناوأك ، فلا تسمعن فيه قول أحد ، وأنت إليه أحوج منه إليك " . (٢)

تولى يزيد ولاية خراسان عقب وفاة والده المهلب (٨٢هـ/٧٠١م) وظل فيها حتى عزله الحجاج عنها سنة ٨٥هـ/٧٠٤م) وقبض عليه وسجنه وظل حبيساً إلى أن تمكن من الهرب سنة ٩٥هـ/٧١٤م) . والتجأ إلى سليمان بن عبد الملك ، وأقام عنده في الرملة من أرض فلسطين . ولما تولى سليمان الخلافة ، عيَّن يزيد والياً على خراسان وطلب منه أن يفتح جرجان وطبرستان فتم له ذلك . وجمع يزيد من فيئها

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٢٠.

(٢) ابن ماكولا ، علي بن هبة الله (ت٤٧٥هـ - ١٠٨٢م) ، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب ، ط١، مط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ ج١، ص١٧٣.

حوالي خمسة وعشرين مليون درهم لكنه لم يرسل خُمس ذلك المبلغ إلى بيت المال في دمشق، ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان (٩٩هـ/٧١٧م) طالب يزيد بخمس أموال جرجان ، لكن يزيد أنكر أن يكون قد تجمع لديه مثل هذا المبلغ وأوضح للخليفة أنه إنما كان يقصد إرضاء سليمان ، لكن عمر بن عبد العزيز استقدمه وسجنه في الشام حتى يؤدي ما عليه .(١)

وما أن تعين الخليفة يزيد بن عبد الملك بعد وفاة عمر (١٠١هـ/٧١٩م) حتى خافه يزيد بن المهلب ، فكما تذكر المصادر التاريخية أن يزيداً كان صهراً للحجاج (زوج ابنة أخيه محمد بن يوسف) وصديقاً له وأن يزيد بن المهلب كان صديقاً لسليمان بن عبد الملك ومولياً له ، وكانت هناك جفوة بين سليمان والحجاج . فلأجل ذلك ، ولخشية أن يقع له على يدي الخليفة يزيد ما لا يريده ، فقد هرب يزيد بن المهلب من سجنه وذهب إلى البصرة فنزل داره ، وتجمعت حوله جماعته من الأزد . وتمكن يزيد بهم وبأعوانه من غيرهم من السيطرة على المدينة وطرد عدي بن أرطأة الفزاري (الوالي الأموي).(٢)

خشي يزيد بن عبد الملك من تفاقم خطر حركة ابن المهلب ، ولذلك فقد جرَّد له جيشاً وضعه تحت إمرة أخيه ، ووالية المعيّن على العراق ، مسلمة بن عبد الملك . وتوجه مسلمة بقواته صوب البصرة . وفي هذه الأثناء كان يزيد بن المهلب قد ترك البصرة وواسط وتوجه لمواجهة مسلمة في الكوفة . لكن مسلمة عاجَلَه وحال بينه وبين الكوفة ، وألجأه إلى مكان يسمَّى العَقُر (عقر بابل قرب كربلاء) فأصبح مكشوفاً لقوات مسلمة ، إذ لم تكن له أية خنادق أو أية تحصينات أو خطوط دفاعية ، فحاصره مسلمة ، وتقاتل الطرفان في موقعة العَقُر لمدة ثمانية أيام حتى حلّت الهزيمة بقوات ابن المهلب في (١٢ صفر ١٠٢هـ/ ٢٢ آب (أغسطس) ٧٢٠م)(٢)

---

(١) ابن الجوزي ، تذكرة الخواص، ص٣٠٦.

(٢) المفيد ، الإرشاد ، ص٢٦٨

واكبت حياة الإمام الباقر عليه السلام فترة يقظة عند الأمة الإسلامية، يرافقها ضعف وانحسار في قدرات بني أمية. وكانت كل بضع سنوات تنكشف عن قيام جماعة ثائرة في وجه حكام بني أمية، يفضحون ظلمهم وجورهم ويعيدون إلى الذاكرة ما قاساه السجناء العلويون، ويدعون الناس للقيام والثأر لشهداء كربلاء وغيرهم.(١)

في هذه الفترة، وقد أدرك الأمويون استفحال خطر الثورة والعصيان على حكمهم، اضطروا للتخفيف من عدواتهم لأهل بيت الرسول، وتجنب قتلهم وتعذيبهم وسجنهم علنا.

في هذه الظروف كان الإمام الباقر عليه السلام يقيم مجالس الدرس في المدينة وعلى أطرافها، وكانت دروسه تشمل كافة العلوم الإسلامية من عقائد وأحكام وتفسير للقرآن الكريم وشرح للسنة الشريفة.

بعد وفاة الإمام الباقر (ع) اشتدت الثورات المناهضة لحكم بني أمية، واتسعت رقعتها، وصار الناس أكثر ميلاً لأهل بيت الرسول (ص).

تسلم الإمام موسى الكاظم (ع) الإمامة، في حين كان العامة من الناس يعرفون المنصور قائداً للمسلمين وخليفةً لرسول الله (ص)، وكان جواسيس المنصور منتشرين في كلّ مكان، يحصون على الناس أنفاسهم كي يتوصّلوا إلى معرفة اسم الإمام، وكانوا يمسكون بأي شخصٍ يثير شكوكهم، ويسومونه شتّى أنواع العذاب.

وضع المنصور بعد وفاة الإمام الصادق (ع) خططاً كثيرةً لإطفاء شعلة التشيع، فأوجد فرقاً كثيرة مختلفة. وقام بشراء مجموعة من الفقهاء، وعَاظ السلاطين في ذلك الوقت، وطلب إليهم - بعد أن أغرقهم بالأموال - أن ينشئوا مدارس تواجه مدرسة الإمام الصادق (ع)، وتميل بالناس عن التوجه نحو أهل البيت، وهيّأ لهم كافة الوسائل، وصار أعوانه يحثّون الناس على التوجه نحو مدارسهم. وكان عهده من أكثر العهود ظلاماً ومرارةً في التّاريخ الإسلاميّ، فقد بلغ ما أوجده من الفرق المختلفة عدداً يربو على مئة فرقة.(٢)

---

(١) السيوطي ، جلال الدين ، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب،ج١، ط٢، دار الفكر ، بيروت ، (دت) ص١٠٠.

(٢) الطبري ، ابن جرير جعفر ، تاريخ الرسل والملوك ، دار صادر ، بيروت، ٢٠٠٤، ج٨، ص٥٢٩.